المعطيات التاريخية في الحديث الشريف
(نساء وأقوام، عصور ما قبل الإسلام)

أ.م.د.عالية سليمان سعيد العطروز

الجامعة القاسمية بالشارقة/ كلية الدراسات الإسلامية/– الإمارات العربية المتحدة

Email:dr.alia1312@gmail.com

تاريخ التقديم: ١/٣/ ٢٠١٩

تاريخ القبول: ١/٤/٢٠١٩

الملخص

تقدّم الأحاديث النبوية الشريفة معرفة بالغة الأهمية عن تاريخ الأمم والجماعات والأديان السابقة، مع تأكيدها العبرة والعظة والمغزى من الوقائع والأحداث التي تتناولها . وقد شكلت الأحاديث النبوية الشريفة بما احتوته من أخبار صحيحة عن الأمم السابقة دليلا على أن الحديث النبويّ يعد مستندا ذا قيمة صادقة في دلالاته التاريخية وغيرها، لواقعية القصص النبوي، فكل ما يرد على لسان النبيّ عليه الصلاة و السلام ورد على سبيل الحكاية و الإعلام والأخبار، وهو يدلّ دلالة واضحة على أنّ كلّ ما ورد فيها هو حقّ، فيجب الإيمان بها؛ لأنه لا مجال للاختراع فيها.وعليه تناولت هذه الدراسة أخبار السابقين والأمم السابقة، التي ورد ذكرها في الأحاديث النبوية الشريفة، واعتمدت في هذا البحث على الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحيح الإمام البخاري، مع ذكر جملة من الأحاديث المختارة من غيره حسب الحاجه _مماحكم له بالصحة_ ؛ وذلك لكي نخرج من قضية الحاجة للحكم على درجة الحديث، وقد رأيت أن أجعل البحث في فصل واحد مقسم على عدة مباحث، مع مقدمة وخاتمة.

- المعطيات:هي مجموعة الأفكار الأساسية المتخذة نقطة انطلاق.
- عصور ما قبل الإسلام، تشمل المدّة الممتدة من بدء الخليقة إلى ما قبل بعثة النبيّ محمد عليه الصلاة و السلام.
- **الكلمات المفتاحية:** المعطيات التاريخية، الحديث الشريف، عصور ما قبل الإسلام

Doctor of Sciences in hadith- sharif / Jor
Historical data in the Hadith
(Women and people, pre-Islamic times)

Assist. Prof. Dr. Alia Suleiman Saeed Al Atrouz
Department of Islamic Studies, Qassimiya University,
Sharjah, United Arab Emirates
Email:dr.alia1312@gmail.com

Abstract

The Noble Prophetic Traditions provide a very important knowledge of the history of nations, groups and religions, while emphasizing the lesson, the exhortation and the significance of the facts and events that they deal with.

The Hadiths of the Prophet, peace and blessings of God be upon him, were narrated by the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) as a way of telling the story, the media and the news. It is a clear indication that all that is stated in it is true, so it is necessary to believe in it, because there is no room for inventing it.

Therefore, I have dealt in this study with the news of former and previous nations, which were mentioned in the Noble Prophetic Hadiths, and adopted in this research the saheehahaadeeth that were narrated in Saheeh al-Bukhari, with a number of the hadiths that are chosen from others according to the need. From the issue of the need to judge the degree of modernity, I have seen that I make research in one chapter divided into several disciplines, with an introduction and a conclusion..

- key words
- Data: The set of basic ideas taken as a starting point.
- Pre-Islamic times, including the period from the beginning of creation and even before the mission of the Prophet Muhammad peace be upon him

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم، على المبعوث بالحقّ رحمة للعالمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. وبعد:

قال تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير﴿١﴾ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾. (سورة الملك، الآية: ١-٢ (Surah Al-Malik, Verse 1-2).

لقد انطوت الأحاديث النبوية الشريفة على كثير من الأمثلة الرائعة من القصص التاريخية، التي تجعل الباحث يقف أمام كثير من الكنوز و المعارف الإنسانية ، والدروس النافعة للبشرية بعرضها لنماذج متفاوتة للنفس البشرية من الأمم والأقوام السابقين، فأشارت إلى نماذج من سلوك هؤلاء الأقوام التي عجّلت لهم بالزوال والعذاب، فرأينا ما حلّ بأقوام عاد، وثمود، وأهل مدين، وقوم لوط، هؤلاء جميعا، وغيرهم كثير قد دعتهم رسلهم إلى عبادة الله وحده، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين، فأبوا إلا الكفر والضلال؛ فاستحقوا بذلك عقوبة الله وانتقامه. وهكذا إن الأحاديث النبوية تؤكد ما ورد في القرآن الكريم في هذا المجال، وتوضح قصة الصراع الطويل بين الحق والباطل؛ وهي تشكّل عرضا تاريخيا موجزا لحركة بني الإنسان، ولسنن الله تعالى التي تحكم حركة تاريخ الإنسان، والفعل الإلهي مع الأمم السابقة، وما فيه من عبرة وعظة.

وليس هذا فحسب، فلقد شكلت السنة النبوية مصدرا أصيلا في التشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم، فلا يستغنى عنها أبدا لمن أراد أن يفهم دين الله تعالى، بما احتوت عليه من تفاصيل عن حياة النبيّ عليه الصلاة و السلام ،والتي لابد من اتباع آثارها، لما أمرنا الله تعالى به من وجوب الاقتداء بالنبيّ عليه الصلاة والسلام ،ولذلك تصدى كثير من العلماء لدراسة أحاديث النبيّ عليه الصلاة والسلام ، والوقوف على ما فيها من تفاصيل مهمّة ،وهذا ما جعلني أخصّص هذه الدراسة لإظهار هذا الأمر؛ إذ جعلته في فصل واحد؛مقسم على عدة مباحث تناولت فيها أخبار نساء وأقوام ورد ذكرها في الحديث النبويّ، في عصور ما قبل الرسالة الإسلامية.

ومما ينبغي ذكره أن الأحاديث النبوية الواردة في هذا البحث تؤكد ما ورد في القرآن الكريم من أخبار السابقين، وما كابده المرسلون في مواجهة الشرك والطواغيت، بحيث يمكن أن نقول إن الأحاديث النبوية تقدم لنا معلومات قيمة فيما يخص المعلومات التاريخية عن السابقين؛ فهي لم تدع قوما من السابقين إلا وأشارت إلى سلوكهم مع أنبيائهم وعاقبة أمرهم. وإذا علمنا أن

أصدق الحديث بعد كتاب الله هو حديث رسول الله، أدركنا أن أخبار السابقين التي وردت في الأحاديث النبوية هي أخبار صحيحة.

وإذا أردنا إعادة كتابة تاريخنا الإسلامي، فإنه ينبغي أن نتبع منهج علماء الحديث في ميدان البحث التاريخي، الذين اتبعوا منهجية محددة في رواية الحديث، وتلقيهم له، وتدوينه والتثبت منه، ومن صحته. وقد استطاعت هذه المنهجية أن تشكل أعلى مقاييس الدقة في تلقي الرواية الشفوية، إلى حدّ مطالبة المحدّثين راوي الحديث بالشاهد واليمين؛ لا لشكّ في روايته، وإنما لمزيد من الحذر والحيطة. على أن نراعي بأن تكون هذه المنهجية متفقة مع عقيدة الأمة الإسلامية، وفكرها، ومن خلال العودة إلى الواقع الذي عاشت فيه الأمة، والأقدمون السابقون.

وممّا سبق تتضح أهمية اعتماد الحديث النبوي مستندا لإثبات بعض المعطيات التاريخية التي وردت فيها، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه حسبنا وإليه مناب

المنهج المتبع في البحث:

سار منهج الدراسة على النحو الآتي :

– أعتمدت الأحاديث الواردة فيها، على صحيح الإمام البخاري بشكل أساسي، مع ذكر جملة من الأحاديث المختارة من غيره حسب الحاجه، ممّا حكم له بالصحة.

– ذكر الأحاديث الخاصة بموضوع الدراسة .

–ذكر جانب من القصة المراد التحدث عنها.

–محاولة الإشارة إلى بعض الاستنتاجات التي تستفاد من دراسة الأحاديث

المعطيات التاريخية في الحديث الشريف

نساء وأقوام (عصور ما قبل الإسلام)

تقدم هذه الدراسة الأحاديث النبوية الشريفة المعنية ببعض الأقوام السابقين، وبنماذج عن بعض النساء ممن ورد ذكرهن في القرآن الكريم؛ ومنهن سارة ، وهاجر ، وآسية –امرأة فرعون– ، ومريم بنت عمران، اللواتي يقدمن دلائل تاريخية عن فترة من تاريخ البشرية ، فسارة وهاجر منهما كانتا زوجتي نبيّ الله إبراهيم عليه السلام ، ثم أصبحت كل واحدة منهما أُمّاً لنبيّ. أما مريم بنت عمران فهي أم عيسى عليه السلام. وأما آسية فقد تربى موسى عليه السلام في بيتها، وكان لها أثر كبير في حمايته من بطش فرعون ، وبناء عليه رأيت أن أبدا هذه الدراسة بالحديث عنهن، ثم أبسط الحديث عن الأقوام السابقة.

المبحث الأول : ما ورد في سارة – أم إسحاق عليه السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثا.

وعن محمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين منها في ذات الله عزّ وجلّ ، قوله: ﴿إنّي سقيم﴾. (سورة الصافات، الآية: ٨٩)، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾. (سورة الأنبياء، الآية: ٦٣)، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال : من هذه قال: أختي ، فأتى سارة ، قال : يا سارة، ليس على وجه الأرض موطن غيري وغيرك، وإن هذا سألني ،فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ، فقال: ادعي الله لي، ولا أضرك، فدعت الله ، فأطلق، ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها ، وأشد، فقال: ادعي الله لي ، ولا أضرك ، فدعت الله ، فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان ، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر ، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده، مهيأ ، قال : رد الله كيد الكافر، الفاجر في نحره ، وأخدم هاجر). (انظر: البخاري، ١٧٨/٢-١٧٩) (See Al-Bukhaari, 2 / 178-179)

هي سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن قالغ ، وهي ابنة عم إبراهيم عليه السلام . كانت سارة ممن آمن بإبراهيم واتبعه ، وقد عرفت بأنها امرأة عاقلة ذات حسن وجمال. لقد كانت سارة من القلة التي اتبعت الدين والحق، وآمنت بإبراهيم عليه السلام . ولما كان الإيمان قولا وعملا وابتلاء، فقد كان لسارة رضي الله عنها النصيب الأوفى في ذلك بوصفها مؤمنه وزوجة لأبي الأنبياء من أول يوم آمنت به. تزوج منها إبراهيم عليه السلام، بعد ما عرف إيمانها بالله تعالى، فكانت سندا وعونا لزوجها عندما أجمع القوم على أن يحرقوه. وقد خرج عليه السلام سالما من المحرقة، ولم يجد أمامه إلا أن يخرج من قومه بمن آمن معه، لعله يجد قلوبا تتقبل دعوة ربّه فكانت هجرته إلى الشام ، قال تعالى : ﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾. (سورة الأنبياء، الآية ٧١) (Al – Anbiya, verse 71) . خرج إبراهيم عليه السلام مهاجرا إلى ربّه ، ومعه زوجته سارة، وقد خرج معه لوط عليه السلام مهاجرا يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربّه، حتى نزل بحرّان، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجرا إلى مصر، ثم خرج إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين. لما هاجر إبراهيم عليه السلام ومعه زوجته سارة ، كانت امرأته –عليه السلام– في ذلك الوقت عاقرا لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد ، فوهبه الله بعد ذلك الأولاد الصبيان الصالحين ، وجعل في

ذريته النبوة والكتاب. وتذكر كتب السيرة أنّ إبراهيم عليه السلام، وزوجته سارة لما بلغا مصر قد تعرضا إلى محنة وابتلاء ، كما وضحها حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السابق الذكر. كانت سارة تشعر بما يهفو إليه إبراهيم عليه السلام من الولد، تلبية لنداء الفطرة والأبوة وحبّ

النسل ، لذلك لما وهبها فرعون هاجر وكانت جارية جميلة، وهبتها بسرعة لزوجها، وقالت له : لعلك ترزق منها الولد. ثم إن إبراهيم عليه السلام وقع على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام ، وبوحي من الله تعالى خرج إبراهيم عليه السلام بولده إسماعيل وأمّه هاجر إلى مكة، حيث تركهما وقفل راجعا . وتظلّ المرأة المؤمنة سارة رغم تقدمها في السن وفيّة لزوجها، وكأن الله تعالى أراد أن يكافئ هذه المرأة المجاهدة ، فبعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط؛ فنزلوا ضيوفا على إبراهيم عليه السلام ، وأخبروه بأنهم رسل الله إلى قوم لوط ، وكانت سارة قائمة فضحكت، فبشرها جبريل عليه السلام بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إنّ هذا لشيء عجيب﴾. (سورة هود، الآية ،ص٧٢) (Surah Hud, Verse,p 72). فوجئت سارة بالبشرى وأبدت دهشتها ، وأنكرت الملائكة عليها تعجبها من أمر الله تعالى وقضائه، ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾. (سورة الحجر، الآية،ص ٥٥)(Surah Al-Hijr, ,p 55)؛ أي بما لا خلف فيه ، وأنّ الولد لا بد أن يكون. وقد ولدت سارة إسحاق عليه السلام وهي بنت تسع وتسعين سنة، و إبراهيم عليه السلام يومئذ ابن مائة سنة. [٢](انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ١/١٤٨-١٦٢) (See: IbnKatheer: Beginning and End, 1 / 148-162)

من دراسة ما سبق نستنتج ما يأتي :

- يشير الحديث الشريف إلى مرحلة من حياة أبي الأنبياء -إبراهيم عليه السلام- وزوجته سارة، ومدى المعاناة والابتلاء الذي تعرّض له -إبراهيم عليه السلام- وزوجته سارة ، وصبرهم على الابتلاء.
- في الحديث الشريف دلالة على أنّ الله تعالى يحفظ رسله وأولياءه؛ كما حمى الله تعالى سارة من شرّ ذلك الملك الظالم .
- أنّ الله تعالى يستجيب لدعاء المؤمنين؛ كما استجاب لدعاء سارة عند مقابلتها للملك الظالم، ولكن علينا أولا أن يتحقق لدينا اليقين التامّ بذلك، وبأنّ الله لا يتخلى عن عباده، وهذا ما تجسده قصة سارة؛ إذ إنّ يقينها بالله تعالى كان السبب في نجاتها هي ومن معها، وليس هذا فحسب بل في حصولها على هدية من ذلك الفاجر، استرضاء لها، وخوفا منها بعد أن أنقذها

الله تعالى منه ، تلك الهدية هي هاجر التي كانت فيما بعد أمًّا لأبي العرب إسماعيل عليه السلام، فسبحان الذي إذا أراد شيئا سخّر له الأسباب لحدوثه.

- فيه دلالة على مكانة المرأة المؤمنة، والزوجة الصالحة، التي تكون الأساس في بناء الأسرة.

المبحث الثاني : ما ورد في هاجر (أم إسماعيل عليه السلام)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: يرحم الله أمّ إسماعيل ، لولا أنها عجلت لكان زمزم عيناً معيناً.(انظر: البخاري، ١٨٠/٢)(See al-Bukhaari, 2/180)

عن عبد الله ابن عباس قال: (أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أمّ إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ، وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قضى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أمّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم ،أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتف إليها ، فقالت له : أالله الذي أمرك بهذا قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه، فقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم﴾. (سورة إبراهيم، الآية :٣٧)(Surah Ibraheem, verse 37). حتى بلغ : (يشكرون)، وجعلت أمّ إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال : يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي، تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة ، فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس : قال النبيّ (صلى الله عليه وسلم): فذلك سعي الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة، سمعت صوتا ، فقالت : صه ، تريد نفسها، ثم تسمعت ، فسمعت أيضاً، فقالت: أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال : بجناحه ، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائه ، وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس : (قال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : يرحم الله أمّ إسماعيل، لو تركت زمزم ، أول قال: لو لم تغرف الماء لكانت زمزم عيناً معينا ، قال : فشربت، وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة ،

فان هاهنا بيت الله ، يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وعن شماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم ، مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا عائفا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا، قال: وأمّ إسماعيل عند الماء، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت : نعم ، ولكن لا حقّ لكم في الماء، قالوا: نعم ، قال ابن عباس: قال النبيّ (صلى الله عليه وسلم): فألفى ذلك أمّ إسماعيل ، وهي تحبّ الإنس، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشبّ الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنعسهم وأعجبهم حين شبّ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أمّ إسماعيل ، فجاء إبراهيم -بعدما تزوج إسماعيل- يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه، فقالت خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشتهم وهيئتهم ، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك ، فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابه، لما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا ،فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنا في جهد وشدة ،قال: فهل أوصاك بشيء قالت: نعم ، أمرني أن أُقرأ عليك السلام ، ويقول: غير عتبه بابك ، قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك ، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد، فلم يجده ، فدخل على امرأته ، فسألها عنه، فقالت خرج يبتغي لنا ، قال كيف أنتم، و سألها عن عيشتهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله ، فقال : ما طعامكم قالت: اللحم ، قال: فما شرابكم قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبيّ (صلى الله عليه وسلم): ولم يكن لهم يومئذ حبّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك ، فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل ، قال : هل أتاكم من أحد قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني ، فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال : فأوصاك بشيء قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نباله تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه ،فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال: يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر، قال : فاصنع ما أمرك به ربّك ، قال: وتعنيني ، قال: وأعينك: قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال: فعند ذلك

رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾.(سورة البقرة، الآية :١٢٧)(Al-Baqarah, verse 127). قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان : ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ .(سورة البقرة، الآية :١٢٧)(Al-Baqarah, verse 127). (انظر: البخاري: ١٨٠/٢-١٨٢) (See: al-Bukhaari: 2 / 180-182)

هاجر أمّ نبيّ الله إسماعيل عليه السلام . لقد شاء الله تعالى بهاجر خيرا؛ لتتحول من جارية لأحد فراعنة مصر ، إلى بيت خليل الله إبراهيم عليه السلام . لم يقف فضل الله تعالى على هاجر عند هذا الحد، بل يمضي إلى ما هو أحسن وأفضل منه، فتشعر سارة بما يهفو إليه إبراهيم عليه السلام من الولد، فرأت أن تهب هاجر إلى إبراهيم عليه السلام ، وقالت له : لعلك ترزق منها بولد، بعدما كانت سارة قد يئست من الولد. وهكذا يختار الله تعالى هاجر لتكون زوجة لخليله وأبي الأنبياء عليهم السلام – إبراهيم عليه السلام–، وأن تكون أُمّا لأكبر أبنائه إسماعيل عليه السلام.(انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ١٥٢/١-١٥٧)(See: IbnKatheer, beginning and end: 1 / 152-157)

من دراسة ما سبق من الأحاديث نخلص إلى ما يأتي :

- امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى بأن يسكن هاجر وابنها في مكة عند البيت الحرام، فيسمع إبراهيم عليه السلام لهذا الأمر ويطيع .
- استسلام هاجر –تلك المرأة الصابرة– لأمر الله تعالى عندما علمت بأن الله تعالى هو الذي أمر إبراهيم عليه السلام بذلك ، فلا تزيد أن تقول: (لا يضيعنا)؛ وفي ذلك قمة التوكل على الله تعالى .
- يدعو إبراهيم عليه السلام ربّه – وقد ابتلي ابتلاء عظيما – فيقول كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ .(سورة إبراهيم، الآية: ٣٧) (Surah Ibraheem, verse 37)
- بعد أن نضب الماء بدأت هاجر تشعر بالعطش، وأخذ وليدها يقاسي ما تقاسي منه، فجعلت تسعى بين الصفا والمروة، تنظر هل ترى أحدا، وقد فعلت ذلك سبع مرات؛ لذلك كان سعي الحجيج بين الصفا والمروة، والذي هو من أركان الحج – سبعا– اقتداء بهاجر .

- يستجيب لدعاء إبراهيم عليه السلام . فإذا هاجر بجبريل عند موضع زمزم ، فغمز عقبة في الأرض فانبثق الماء . فجعلت تحوضه بيدها، وتغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف، ولولا أنها تعجلت لكانت زمزم عينا معينا كما قال عليه الصلاة والسلام .
- شاءت إرادة الله أن يمرّ جماعة من قبيلة جرهم بوادي مكة ، وكانوا قدر رأوا الطير يحوم في السماء، فاستدلوا بذلك على وجود الماء، وسكنوا إلى جوار أمّ إسماعيل .
- تعلم إسماعيل عليه السلام العربية من قبيلة جرهم – من العرب البائدة –، فكان أول من فتق لسانه بالعربية البينة – من العرب العاربة – .
- يتجلى برّ إسماعيل عليه السلام بوالده فيطلق زوجته – لأنها كانت كثيرة التذمر، ولم تكن تحمد الله تعالى – بـــأمره . وفي مره ثانيه يمسك زوجته بأمره ، – لأنها كانت تقرّ بنعمة الله عليهم ، وتثني على الله وتحمده – أيضا .
- مساعدة إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت ، فجعلا يبنيان وهما يقولان : ﴿ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم﴾ .(سورة البقرة، الآية :١٢٧) (Al-Baqarah, verse 127) .
- ومن مجمل ما ذكر نخلص إلى دلائل تاريخية عن بناء البيت الحرام ، والسعي بين الصفا والمروة، وتاريخ ماء زمزم .

المبحث الثالث : ما ورد في آسية – زوجة فرعون –

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران . وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) . (انظر: البخاري، ١٩٧/٢) (See al-Bukhaari, 2/197)

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران).(انظر: البخاري، ٢٨٠/٢)(See al-Bukhaari, 2/280)

هي آسية بنت مزاحم بن عبيد الريان بن الوليد –الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف عليه السلام– لقد كملت هذه المرأة المؤمنة ، وشهد لها رسولنا الكريم بأنها من خير نساء العالمين ، وضرب الله بها المثل للذين آمنوا . ولقد شاء تدبير الله تعالى وإرادته أن تكون آسية سببا في نجاة موسى عليه السلام من فرعون، إذ أراد قتله ، وكانت سببا في أن يعيش في

قصر فرعون، ليقوم فرعون بنفسه على تربيته، حيث صرف الله عنه بعدما كان قد همّ بقتله، فاستوهبته من فرعون وقالت له : ﴿قرّت عين لي ولك﴾ . (سورة القصص، الآية : ٩)(Surah Al-Qasas, verse 9)، وقالت: ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ .(سورة القصص، الآية: ٩) (Surah Al-Qasas, verse 9). وقد أنالها الله تعالى ما كانت ترجو من النفع ، وهداها الله تعالى بموسى عليه السلام ، وآمنت به في الدنيا ، وأما في الآخرة فأسكنها الله جنّته بسببه . لقد آمنت آسية زوجة فرعون بالله وحده ، وصدقت رسوله موسى، فدعت الله تعالى أن ينجيها من فرعون وعمله . ويبدو أنها ضاقت ذرعا بما يفعل فرعون وجنوده من ظلم للعباد، فعنّفت فرعون ، وأظهرت إيمانها بموسى عليه السلام . فأمر فرعون بتعذيبها حتى الموت. فاستعلت هذه المرأة المؤمنة على عروض الحياة الدنيا في أزهى صورها ، واستعلت على ذلك بالإيمان والصبر على الابتلاء ، فقرنها الله تعالى بالذكر مع مريم بنت عمران ، فكانت نموذجا للمرأة المطهّرة المصدّقة. (محمود شلبي: حياة آسية، ص: ٣٢٧-٣٩٤)(Mahmoud Chalabi: Asian Life, pp. 327-394)

من دراسة ما سبق ذكره من الأحاديث نخلص إلى ما يأتي :

- أن الله تعالى يقيض في كلّ زمان من يحمل لواء الدين ، فيدافع عنه، ويتحمل في سبيل ذلك العذاب حتى الموت .
- لقد ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، تلك المرأة المؤمنة التي استعلت بإيمانها على عروض الحياة الدنيا في أزهى وأبهى صورها .
- تشير الأحاديث إلى فترة من التاريخ، وكيف تجبّر فيها الطاغية فرعون وتمرّد على الله، فكانت عاقبته الخسران المبين .
- المؤمنون معرضون للابتلاء من أعداء الله؛ فعليهم الصبر بالإيمان القوي، واليقين التامّ بأن متاع الدنيا زائل، وما عند الله خير وأبقى .

-من فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك، والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه في بيت فرعون ، وكانت فراستها في موسى عليه السلام صادقة حين قالت: ﴿قرّت عين لي﴾. (سورة القصص، الآية:٩)، فقد شاء الله لها أن تهتدي بموسى عليه السلام ، ليكون سبب خير لها في الدنيا والآخرة. (انظر: ابن حجر: فتح الباري، ٦/٥٨٠)(See: IbnHajar: Fath al-Bari, 6/580)

المبحث الرابع : ما ورد في مريم – أمّ عيسى عليه السلام –

عن أبي هريرة ، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ما من مولود إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخا من نخسة الشيطان ، إلا ابن مريم وأمّه) . (انظر: البخاري، ٢٠٤/٢)(See al-Bukhaari, 2/204)

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من الشيطان غير مريم وابنها ، ثم يقول أبو هريرة : وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) . (انظر: البخاري، ٢٠٤/٢)(See al-Bukhaari, 2/204)

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران .)(انظر: البخاري، ٢٨٠/٢)(See al-Bukhaari, 2/280)

عن علي بن أبي طالب قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : (خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة). (انظر: البخاري، ٢٠٥/٢)(See al-Bukhaari, 2/205)

قال تعالى : ﴿إذ قالت امراة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرّرا فتقل مني إنك أنت السميع العليم﴿٣٥﴾ فلمّا وضعتها قالت ربّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنّي سميتها مريم وإنّي أعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم ﴿٣٦﴾ فتقبّلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريّا كلمّا دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .(سورة آل عمران، الآية : ٣٥-٣٧) (Al-Imran, verse 35-37).

هي مريم بنت عمران ، ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام ، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه . أما أمّها فهي حنّا بنت فاقود بن قبيل من العابدات . وكان زكريّا عليه السلام نبيَّ ذلك الزمان زوج أخت مريم أشياع ، وقيل زوج خالتها أشياع – والله أعلم- . ورد ذكر مريم في الكثير من آيات القرآن الكريم ، وكذلك في الأحاديث الشريفة ، وقد شهد لها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) بأنها من النساء الكاملات ، وأنّها من خير نساء العالمين . لقد اختارها الله تعالى واجتباها على نساء العالمين . وقد ذكر الله تعالى

فضل هذا البيت الطاهر؛ وهم آل عمران – والد مريم – ، قال تعالى : ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ . (سورة آل عمران، الآية : ٣٣)(Surah Al – Imran, verse 33) . حملت بها أمّها فنذرت ما في بطنها خالصا لربها محرّرا من قيد ومن كلّ شرك، ومن كلّ حقّ لأحد غير الله تعالى . فلما وضعتها قالت : ﴿ربّ إنّي وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى﴾. (سورة آل عمران: ٣٦)، فقبل تعالى مريم وكفّلها زكريّا ، ونشأت مريم نشأة مباركة طيبة، في جوّ كله الطهر والعفاف والعبادة ، والإخلاص لله رب العالمين، وكانت مباركة يفيض من حولها الخير والرزق. وقد ذكر الله تعالى بأن الملائكة بشّرت مريم باصطفاء الله لها من بين نساء العالمين ، قال تعالى :﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾. (سورة آل عمران :٤٢)(Surah Al – Imran, verse 42) ، ولقد اختارها الله تعالى لتكون أما لنبيّه عيسى من غير أب . وبشّرت بأن سيكون نبيّا ، يكلم الناس في المهد، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده . وأمرت بكثرة العبادة والركوع؛ لتكون أهلا لهذه الكرامة ، قال تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾. (سورة آل عمران :٤٣)(Surah Al – Imran, verse 43) . ثم يأتي الابتلاء العظيم ، ﴿إذ قالت الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ . (سورة آل عمران :٤٥). فتمثل لها الملك جبريل برجل ، وطرق عليها الحجاب، وظنت أنه يريدها بسوء فقالت : ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّا﴾. (سورة مريم : ١٨). قال : ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ (سورة مريم، الآية :١٩)(Surat Maryam, verse 19)، فلما سمعت ذلك مريم قالت : ﴿أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّا﴾.(مريم : ٢٠) ، فقال لها جبريل : ﴿قال كذلك قال ربّك هو عليّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضيّا﴾ .(سورة مريم :٢١) (Surat Maryam, verse 21). وقد رُوِيَ أنّ جبريل نفخ في قميصها بإصبعه، فحملت من ساعتها بعيسى عليه السلام ، ولما حملت انتبذت بولدها مكانا قصيا، لمّا علمت أنّ كثيرا من الناس سيظنّون فيها الظنون، ويقولون عنها ما يقولون . لقد ولد عيسى المسيح في بيت لحم، وكانت تستند إلى جذع نخلة فقالت : ﴿قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيّا﴾. (سورة مريم : ٢٣)(Surat Maryam, verse 23). تمنت الموت ، لأنها خافت أن يظنّ بها البشر في دينها ، وعلمت أنّ الناس سيتهمونها؛ حين تأتيهم بغلام مع أنّها كانت عندهم من العابدات . ثم تفاجأ مريم مفاجأة أخرى، وهو حديث الطفل لها قال تعالى : ﴿فناداها من تحتها ألّا تخافي قد جعل ربك تحتك سريّا﴾ . (سورة مريم : ٢٤)(Surat Maryam, verse 24)، ثم

يرشدها إلى طعامها وشرابها ،﴿وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴿٢٥﴾ فكلي واشربي وقرّي عينا فإمّا تَرَينَّ من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيّا ﴿٢٦﴾ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريّا﴾ (سورة مريم : ٢٥-٢٧) ، ثم قال القوم: ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾ .(سورة مريم :٢٧)(Surat Maryam, verse 27). فانطلقت ألسنة قومها بالتأنيب والتهكّم ، فتنفذ وصية عيسى عليه السلام ﴿فأشارت إليه﴾ (سورة مريم :٢٩) ، فقال القوم: ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ (سورة مريم :٢٩) ، فقال عيسى عليه السلام – الصبيّ – : ﴿إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّا﴾ (سورة مريم : ٣٠)(Surat Maryam, verse 30). هذا أول كلام نطق به عليه السلام ، فكان أن قال : إنّي عبد الله فبرّأ أمّه ممّا نسبها إليه الجاهلون، وقذفوها به، فيعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله تعالى ، ويعلن أن الله جعله نبيّا لا ولدا ولا شريكا [١٤]. فلقد كرّم الله مريم وطهّرها ، وجعلها وابنها آية للعالمين .

من دراسة ما سبق من الأحاديث نستنتج ما يأتي:

وجود إشارات ودلائل تاريخية عن مريم بنت عمران وابنها عيسى عليه السلام ، لتغطي مساحة من تاريخ البشرية إلى ما قبل الإسلام ، ولا سيما أنّ عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل . لقد اجتبى الله تعالى مريم وطهّرها واختارها ، لتكون أمّا لعيسى عليه السلام .

شهادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمريم بأنّها من خيرة نساء العالمين وأكملهنّ ، فقد صبرت على الابتلاء، وكانت مباركة عفيفة صدّيقة ، مارست دورا عظيما في تاريخ البشرية؛ فهي أمّ عيسى عليه السلام، وقد ذكرها الله في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيّا﴾ .

المبحث الخامس : ما ورد في عاد – قوم هود عليه السلام –

قال تعالى : ﴿وإلى عادٍ أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ . (سورة الأعراف، الآية :٦٥)(Al A'raf, verse 65 –).

قال تعالى : ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾. (سورة الأحقاف، الآية :٢١) (Surah Al – Ahqaf, verse 21).

وقوله تعالى : ﴿وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾. (سورة الحاقة، الآية : ٦)(Al – Hakka, verse 6) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدَّبُور)(انظر: البخاري، ١٧٥/٢) (See al-Bukhaari, 2/175)

عن أبي سعيد قال : (بعث علي رضي الله عنه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بذهبية ، فقسمها بين الأربعة : الأقرع بن حابس ، ثم المجاشعي ، وعيينه بن بدر الفزاري ، وزيد الطائي ... إن من ضئضىء هذا – أو في عقب – هذا قوم يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد) (انظر: البخاري، ١٧٥/٢) (See al-Bukhaari, 2/175)

يرجع نسب قبيلة عاد إلى عاد بن عوص بن سام بن نوح . وهم من العرب الذين سكنوا الأحقاف – وهي جبال الرمل – و كانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلّة على البحر، يقال لها : (الشحر) واسم واديهم : (مغيث) ، وكانوا كثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، كما قال فيهم تعالى : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ﴿٦﴾ إرَم ذات العماد ﴿٧﴾ (سورة الفجر، الآية :٦-٨) (Al-Fajr, verse 6-8) ، وعاد يعدّون من العرب العاربة . لقد كانت قبيلة عاد أول من عبدوا الأصنام بعد الطوفان . ليعرفوا بأنّهم جفاة كافرون متمردون بعبادتهم للأصنام من دون الله تعالى ، فأرسل الله إليهم هودا عليه السلام ، يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، ولكنهم كذّبوه واستمرّوا على كفرهم . فدعا عليهم هود عليه السلام كما ورد ذلك في القرآن الكريم : ﴿قال ربّ انصرني بما كذبون ﴿٣٩﴾ قال عمّا قليلٍ ليصبحُنّ نادمين ﴿٤٠﴾ فأخذتهم الصيحة بالحقّ فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين﴾ (سورة المؤمنون، الآية : ٣٩-٤١) (Al-Mu'minun, verse 39-41). فلما أبوا إلا الكفر بالله عزّ وجلّ، جاءت سحابة سوداء من وادٍ يقال له : (مغيث) فلمّا رأوها ظنّوها بشارة خير ونعمة وإذا بها الشرّ كله ، قال تعالى : ﴿فلمّا رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة الأحقاف، الآية : ٢٤-٢٥) (Al-Ahqaf, verse 24-25). لقد سلّط الله عليهم ريحا شديدة سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فلم تدع من عاد أحدا إلا أهلكته ، قال تعالى :﴿فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجاز نخل خاوية﴾ (سورة الحاقة : ٧) . شبّههم بالأعجاز الخاوية التي لا رؤوس لها؛ وذلك لأنّ الريح كانت تحمل الواحد منهم في الهواء ، ثم تنكسه على أمّ رأسه فتشدخه، فيبقى جثة بلا رأس (انظر: ابن خلدون، العبر، ٢٤/٢-٢٨) ((See IbnKhaldun, al-Abr, 2/24)

نخلص من دراسة ما سبق من الأحاديث إلى ما يأتي :

- وجود إشارات تاريخية إلى قوم عاد الذين عاشوا في منطقة الأحقاف من الجزيرة العربية
- إنّ الكفر والشرك بأنماطه المختلفة يسير بالأمم والأقوام صوب الانهيار والفناء ، وهذا ما جرى لعاد عندما كذّبوا بنبيّهم هود عليه السلام ، ولذلك قطع الله دابرهم، وأهلكهم نتيجة كفرهم .
- لقد عرف عن النبي عليه الصلاة و السلام أنّه كان إذا رأى سحابا لم يتكامل اجتماعه ترك ما في يده وتعوذ بالله تعالى من شرها ،آخذا العبرة من قصة عاد الأولى، وفيه دليل صريح على وجوب الاتّعاظ بقصص السابقين .

المبحث السادس : ما ورد في ثمود – قوم صالح عليه السلام –

قال تعالى : ﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾ (سورة النمل، الآية :٤٥) (Al – Naml, verse45).

عن ابن عمر رضي الله عنهما (أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ، ولا يستقوا منها ، فقالوا : قد عجنّا منها ، واستقينا ، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ، ويهريقوا ذلك الماء).(انظر: البخاري،١٨٧/٢)(See al-Bukhaari, 2/187)

ويروى عن سبره بن معبد وأبي الشموس أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بإلقاء الطعام .

عن نافع أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أنّ الناس نزلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أرض ثمود الحجر ، فاستقوا من بئرها ، واعتجنوا به ،فأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يهريقوا ما استقوا من بئرها ، وأن يعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. (انظر: البخاري، ١٨٧/٢)(See al-Bukhaari, 2/187)

عن ابن عمر ، قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم).(انظر: البخاري، ١٨٧/٢)(See al-Bukhaari, 2/187)

ثمود هم بنو ثمود بن كاثر بن ارم ، كانت ديارهم بالحجر ووادي القرى ، فيما بين الحجاز والشام. اعتادوا أن ينحتوا بيوتهم في الجبال؛ لأنّ أعمارهم كانت تطول، فيأتي البلاء والخراب على بيوتهم ، فنحتوها في الصخر، وهي لهذا العهد . وقد مرّ النبي (صلى الله عليه وسلم) بأرض ثمود في غزوة تبوك ، فصدر عنه النهي عن دخولها كما جاء في الصحيح . ويقال إن أقدم ملوكها هو عابر بن إرم بن ثمود ، وملك عليهم مائتي سنة . ثم كان من بعده جندع بن عمرو بن الدبيل بن ارم بن ثمود ، ويقال إنه ملك عليهم نحوا من ثلاثمائة سنة . وفي أيامه

كانت بعثة صالح عليه السلام.(انظر: ابن خلدون، العبر، ٢/٢٨-٢٩) (See IbnKhaldun, al-Abr, 2/28)

لقد كان قوم صالح أهل كفر وبغي وعبادة أوثان ، فدعاهم صالح عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وحده ، فلما جاءهم بذلك كفروا وطلبوا الآيات ، فجاءهم رسولهم بالآيات التي طلبوها، قال تعالى: ﴿كذّبت ثمود بطغوها إذ انبعث أشقاها﴿١٢﴾ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴿١٣﴾ فكذّبوها فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسواها ﴿١٤﴾ ولا يخاف عقباها﴾.(سورة الشمس، الآية : ١١-١٥)(Al-Shams, verse 11-15)

وقد جاءت ثمود بعد عاد، ولكنهم لم يعتبروا بما كان من أمرهم ، ولم يسمعوا كلام نبيّهم عندما حذرهم ، قال تعالى : ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذَكم عذاب أليم﴾ . (سورة الأعراف، الآية :٧٣) (Al-A'raf, verse 73)، ولكنّهم أبَوْا إلا الضلال، فعقروا الناقة فأنذرهم صالح ثلاثة أيّام ، قال تعالى : ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾. (سورة هود :٦٥)(Surah Hud: 65) . وفي صبيحة اليوم الرابع صعقوا بصيحة من السماء ، تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا جاثمين ، وهلكوا ولم ينج منهم إلا رجل واحد، كان في الحرم فمنعه الله من العذاب .

من دراسة ما سبق من الأحاديث نستنتج ما يأتي :

-وجود إشارات تاريخية إلى قوم ثمود الذين سكنوا في الحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام.

-بعث الله تعالى صالحا عليه السلام إلى قوم ثمود ليدعوهم إلى التوحيد ، ولكنّهم كذّبوا بنبيّهم ولم يصدّقوه ، لذلك أهلكهم الله بكفرهم، وجعل منهم عبرة وعظة لمن بعدهم ، فلم يبق منهم إلا آثارهم ، وفي ذلك إشارة إلى عاقبة الكفرة والطغاة .

المبحث السابع : ما ورد في أصحاب الأخدود

عن صهيب الرومي قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا صلّى العصر وهمس ، والهمس في بعض قولهم تحرك شفتيه كأنه يتكلم ، فقيل له : إنك يا رسول الله إذا صلّيت العصر همست قال: إن نبيّا من الأنبياء كان أعجب بأمّته، فقال : من يقوم لهؤلاء فأوصى الله إليه أن خيّرهم بين أن أنتقم منهم ، وبين أن أسلّط عليهم عدوّهم ، فاختار النقمة ، فسلّط عليهم الموت، فمات منهم في يوم سبعون ألفا . قال : وكان إذا حدّث بهذا الحديث، قال : كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلاما فهما أو قال: فطنا لقنا

فأعلمه علمي هذا ، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه . قال: فنظروا له على ما وصف ، فأمره أن يحضر ذلك الكاهن، وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة . قال : معمر : أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين . قال : فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال: إنما أعبد الله . قال : فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ على الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني ،فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن أين كنت فقل عند أهلي، وإذا قال لك أهلك أين كنت ، فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن . قال : فبينما الغلام على ذلك إذ مرّ بجماعة من الناس كثير قد حسبهم دابة ، فقال بعضهم : إن تلك الدابة أسد قال : فأخذ الغلام حجرا قال : اللهم إن كان ما يقول الراهب حقا فأسألك أن أقتلها. قال : ثم رمى فقتل الدابة . فقال الناس من قتلها، قالوا : الغلام ، ففزع الناس وقالوا : لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد . قال : فسمع به أعمى ، فقال له : إن أنت رددت بصري فلك كذا وكذا . قال : له لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذي يرده عليك قال : نعم . قال : فدعا الله فرد عليه بصره ، فآمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم ، فبعث إليهم، فأتي بهم ، فقال :لأقتلنّ كلّ واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه ، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهم فقتله، وقتل الآخر بقتلة أخرى . ثم أمر بالغلام، فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون ، حتى لم يبق منهم إلا الغلام . قال : ثم رجع فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه ، فانطلقوا به إلى البحر ، فأغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول إذا رميتني : بسم الله رب هذا الغلام : قال فأمر به فصلب ثم رماه ، فقال : بسم الله رب هذا الغلام . قال : فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد ، فإنا نؤمن برب هذا الغلام .قال : فقيل للملك أجزعت أن خالفك ثلاثة ، فهذا العالم كلهم قد خالفوك . قال : وخدّ أخدودا ثم ألقى فيها الحطب والنار ، ثم جمع الناس . فقال : من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود . قال : يقول الله تعالى :(قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود) حتى بلغ (العزيز الحميد) قال : فأما الغلام فإنه دفن ، فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل. (انظر: الترمذي، ٥/١٠٧-١١٠) (See Tirmidhi, 5 / 107-110)

في الحديث الشريف إشارات ودلالات عن أنبياء ، وأشخاص مؤمنين وآخرين كافرين .فأما المؤمنون فقد ابتلاهم الله فصبروا ، وأما الكافرون فقد طغوا ، وهكذا الطغاة في كلّ زمان.

نخلص من دراسة ما سبق إلى ما يأتي :

- إنّ المؤمن يجب أن لا يأخذه العجب بما عنده ، فلا بد أن يكون مؤمناً أنّ كلّ ما عنده هو من الله تعالى، وإلا ابتلاه الله تعالى بزوال ما عنده.
- لا بد من التحلي باليقين الكامل بالله تعالى ،فإنّنا نكون به قادرين على فعل الكثير و تحمّل الكثير؛ وهذا ما تجسّده قصّة هذا الغلام .
- الكفرة والطغاة في كلّ زمان يحاربون دعوة الله ، ويكيدون لأتباع الحق ، وهذا ما جرى لأصحاب الأخدود؛ إذ أحرقهم الملك الطاغية ، لأنّهم آمنوا بالله تعالى العزيز الحميد .
- قد يبتلي الله المؤمنين ، وعليهم الصبر، وفي صبر أصحاب الأخدود عبرة وعظة .
- الحديث النبويّ الشريف يعطي دلالة عن مكانة الشهيد عند الله تعالى ، بما يحمل من أخبار صحيحة وصادقة. ويتضح هذا من حفظ الله تعالى لجسد الغلام.

المبحث الثامن: ما ورد في بني اسرائيل

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ:الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَقُ إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ: لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ، يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ

كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ"(انظر: البخاري، ٢/٢١٢-٢١٣)
(See Al-Bukhaari, 2/212-213)

نستنتج من دراسة الحديث النبويّ الشريف أنّ الله تعالى قد يبتلي الإنسان في حياته؛ ليختبره، أيشكر أم يكفر. وقد يكون الابتلاء بإسباغ النعمة، وكثرة الرزق والأولاد. وهذا ما يتطلب شكر الله وتأدية حقّه في ماله. وقد يكون الابتلاء غير ذلك؛ كالمرض، وهذا ما يتطلب الصبر على ما ابتلي به الإنسان، ودعاء الله تعالى، والرضى بما قسمه الله.

وفي حديث الأبرص والأقرع والأعمى عبرة؛ فإن الأعمى كان صابرا على مصيبته، فلما أغناه الله وعافاه، اعترف بنعمة الله تعالى، فرضي الله تعالى عنه، وبارك له في ماله. وأما الآخران فقد جحدا وأنكرا نعمة الله تعالى عليهما، فسخط الله تعالى عليهما، وصيرهما إلى ما كانا عليه، وفي ذلك كله إشارة ودلالة على أن عاقبة الجحود، وإنكار فضل الله أولا هو زوال هذه النعمة، علاوة على ما عليه من الإثم، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

الخاتمة:

وبعد الانتهاء بحمد الله تعالى من دراسة هذا الموضوع، وفي ضوء دراستنا لعامّة الأحاديث السابقة الذكر نخلص إلى ما يأتي :

أن الأحاديث التي ذكرت قد تناولت عصور ما قبل الرسالة الإسلامية ، وقد جاءت الأحاديث على أنماط مختلفة؛ فمنها ما جاء مفصلا للحدث التاريخي؛ كحديث النبيّ (صلى الله عليه وسلم) الذي ذكر فيه ما كان من شأن هاجر – أمّ إسماعيل عليه السلام – ، وحديث النبي (عليه الصلاة والسلام) الذي تحدث فيه عن قصة أصحاب الأخدود . وبالمقابل نجد أنّ من هذه الأحاديث ما جاء ذكر الحديث التاريخيّ على سبيل الإشارة؛ كحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عاد (وأهلكت عاد بالدبور)[٢٤]، وعليه نستنتج تنوع أساليب النبيّ عليه الصلاة والسلام في سرد القصة على أوجه متنوعة:

١- في أغلب القصص النبوي يذكر النبي عليه الصلاة و السلام التفصيلات أولا حتى يصل إلى العاقبة وأحيانا العكس بحيث يذكر أولا النتيجة ثم يذكر الأسباب المؤدية لها.

٢- يعد الحوار عنصرا أساسيّا في سرد النبيّ عليه الصلاة و السلام للقصص لما يضيفه الحوار من حيوية إلى القصة بإخراجها عن حدّ الجمود ومساعدة السامع للتخيل.

٣- قد يذكر النبيّ عليه الصلاة و السلام القصة ولا يعقب عليها ليترك المجال مفتوحا أمام السامع أو القارئ ليستنبط ما يفهم من هذه القصة.

- جزالة أسلوب النبيّ عليه الصلاة و السلام في صوغ القصص.
- لقد جاءت الأحاديث بمجملها لتؤكد ما ورد في القرآن الكريم ، من أخبار تاريخية ، مع ملاحظة الاختلاف في طرائق عرض الحدث التاريخيّ بين القرآن والسنة ، إذ إن القرآن الكريم قد أكثر من التفصيل في عرضه لأخبار الأمم الماضية والأنبياء المرسلين ، وعن الصراع الدائم بين الحق والباطل .
- تقدّم الأحاديث النبويّة الشريفة معرفة بالغة الأهمية عن تاريخ الأمم والجماعات والأديان السابقة ، مع تأكيدها العبرة والعظة والمغزى من الوقائع والأحداث التي تتناولها .
- ذكر النبيّ عليه الصلاة و السلام لأبرز الشخصيات النسائية التي أدت عملا مؤثرا ماقبل ظهور الإسلام ،بما تميزت به من موقع أو حدث مؤثر في من حولها.
- تنوع المعطيات التاريخية المستفادة من الأحاديث النبويّة ، فمنها ما هو تربويّ ومنها ما ينظم الحياة الاجتماعية ،ومنها ما له علاقة بالجانب الروحيّ وكيفية تنظيم العلاقة ما بين العبد وربّه.

قائمة المصادر والمراجع:

١) البخاري : محمد، (٢٠٠١م) صحيح البخاري، ط١ ، دار التقوى، بيروت

٢) الترمذي : محمد بن عيسى (١٩٨٣)، سنن الترمذي– الجامع الصحيح – ، ط١، تحقيق عبد الرحمن محمد ، دار الفكر ، بيروت

٣) ابن خلدون : عبد الرحمن (١٩٩٢م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت

٤) شلبي : محمود، (١٩٨٨م) : حياة آسية امرأة فرعون، ط١، دار الجبل ، بيروت

٥) العسقلاني، ابن حجر: (٢٠٠٤م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، مكتبة الرشد ، الرياض

٦) ابن كثير : عماد الدين، (١٩٩٦م)، البداية والنهاية، ط١، مكتبة المعارف – بيروت

٧) ابن كثير، عماد الدين، (٢٠٠١)، قصص الأنبياء، ط١ ، مكتبة الصفا ، القاهرة

List of sources and references

1- Bukhari: Muhammad, (2001) Saheeh al-Bukhari, I 1, House of piety, Beirut

2- Tirmidhi: Muhammad bin Issa (1983), Sunan al-Tirmidhi - the right mosque -, I 1, investigation Abdul Rahman Mohammed, Dar al-Fikr, Beirut

3- IbnKhaldun: Abdul Rahman (1992), the lessons and the Diwan of beginner and news in the days of Arabs and Ajm and Berbers and their contemporaries of the Sultan, the first, 1, the House of Scientific Books, Beirut

4- Chalabi: Mahmoud, (1988): The life of Asia woman Pharaoh, I 1, Dar al-Jabal, Beirut

5- Asqalani, IbnHajar: (2004), Fath Al-Bari SharhSaheeh Al-Bukhari, 1, Al-Rashed Library, Riyadh

6- IbnKatheer: EmadEddin, (1996), beginning and end, I 1, library knowledge – Beirut

7- IbnKatheer, Imad al-Din, (2001), Stories of the Prophets, 1, Safa Library, Cairo